مناظرة بين مقلد وصاحب حجة — تابع

(الوجه السابع والسبعون) ان تقول لطائفة المقلدين هل تسوغون تقليد كل عالم من السلف والخلف أو تقليد بعضهم دون بعض؟ فان سوغتم تقليد الجميع كان تسويغكم لتقليد من انتميتم الى مذهبه كتسويغكم لتقليد غيره سواء فكيف صارت أقوال هذا العالم مذهبا لكم تفتون وتقضون بها وقد سوغتم من تقليد هذا اما سوغتم من تقليد الآخر فكيف صار هذا صاحب مذهبكم دون هذا ؟ وكيف استجزتم ان تردوا أقوال هذا وتقلدوا أقوال هذا وكلاهما عالم يسوغ اتباعه فان كانت اقواله من الدين فكيف ساغ لكم دفع الدين وان لم تكن أقواله من الدين فكيف سوغتم تقليده؟ وهذا الجواب لكم عنه . يوضحه : —

(الوجه الثامن والسبعون) ان من قلدتموه اذا روي عنه قولان وروايتان سوغتم العمل بهما وقلتم : مجتهد له قولان فيسوغ لنا الاخذ بهذا وهذا. وكان القولان جميعا مذهبا لكم فهلا جعلتم قول نظيره من المجتهدين بمنزلة قوله الآخر وجعلتم القولين جميعا مذهبا لكم؟ وربما كان قول نظيره ومن هو اعلم منه أرجح من قوله الآخر وأقرب الى الكتاب والسنة يوضحه : —

(الوجه التاسع والسبعون) انكم معاشر المقلدين اذا قال بعض أصحابكم ممن قلدتموه قولا خلاف قول المتبوع اوخرجه على قول جعلتموه وجها وقضيتم وأفتيتم به والزمتم بمقتضاه فاذا قال الامام الذي هو نظير متبوعكم اوفوقه قولا يخالفه لم تلتفتوا اليه ولم تعدوه شيئا. ومعلوم ان واحدا من الأئمة الذين هم نظير متبوعكم أجل من جميع أصحابه من أولهم الى آخرهم فقدروا اسوأ التقادير ان يكون قوله بمنزلة وجه في مذهبكم فيالله العجب صار من أفتى أوحكم بقول واحد من مشائخ المذهب أحق بالقبول ممن أفتى بقول الخلفاء الراشدين وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب وابي الدرداء ومعاذ بن جبل وهذا من بركة التقليد عليكم. وتمام ذلك: —

(الوجه الثمانون) انكم ان رمتم التخلص من هذه الخلطة وقلتم: بل يسوغ تقليد بعضهم دون بعض وقال كل فرقة منكم يسوغ اويجب تقليد من قلدناه دون غيره من الائمة الذين هم مثله او أعلم منه: كان اقل مافي ذلك معارضة قولكم بقول

الفرقة الاخرى فى ضرب هذه الاقوال بعضها ببعض ثم يقال ما الذي جعل متبوعكم اولى بالتقليد من متبوع الفرقة الاخرى فبأي كتاب أو بأية سنة وهل تقطعت الامة امرها بينها زبرا وصار كل حزب بما لديهم فرحون الا بهذا السبب فكل طائفة تدعو الى متبوعها وتنأى عن غيره وتنهى عنه وذلك مفض الى التفريق بين الامة وجعل دين الله تابعا للتشهي والاعراض ، وعرضة للاضطراب والاختلاف ، وهذا كله يدل على ان التقليد ليس من عند الله للاختلاف الكثير الذي فيه ويكفي في فساد هذا المذهب تناقض أصحابه ومعارضة أقوالهم بعضها ببعض ولو لم يكن فيه من الشناعة الا ايجابهم تقليد صاحبهم وتحريمهم تقليد الواحد من أكابر الصحابة كما صرحوا به فى كتبهم لكفى

(الوجه الحادي والثمانون) ان المقلدين حكموا على الله قدرا وشرعا بالحكم الباطل جهارا المخالف لما أخبر به رسوله فاخلوا الارض من القائمين لله بحجته وقالوا لم يبق في الارض عالم منذ الاعصار المتقدمة فقالت طائفة : ليس لأحد ان يختار بعد أبي حنيفة وأبي يوسف وزفر بن الهذيل ومحمد بن الحسن والحسن بن زياد اللؤلؤي وهذا قول كثير من الحنفية . وقال بكر بن العلاء القشيري المالكي : ليس لاحد أن يختار بعد المئتين من الهجرة . وقال آخرون : ليس لأحد ان يختار بعد الاوزاعي وسفيان الثوري ووكيع بن الجراح وعبد الله بن المبارك . وقالت طائفة : ليس لاحد ان يختار بعد الشافعي . واختلف المقلدون من أتباعه فيمن يؤخذ بقوله من المنتسبين اليه ويكون له وجه يفتي ويحكم به ممن ليس كذلك وجعلوهم ثلاث مراتب (١) طائفة اصحاب وجوه كابن شريح والقفال وابي حامد و(٢) طائفة اصحاب احتمالات لا أصحاب وجوه كأبي المعالي و(٣) طائفة ليسوا اصحاب وجوه ولا احتمالات كأبي حامد (*) وغيره . واختلفوا متى انسد باب الاجتهاد على اقوال كثيرة ما انزل الله بها من سلطان وعند هؤلاء ان الارض قد خلت من قائم لله بحجته ولم يبق فيها من يتكلم بالعلم ولم يحل لأحد بعد ان ينظر في كتاب الله ولا سنة رسوله لأخذ الاحكام منهما ولا يقضي ويفتي بما فيهما حتى يعرضه على قول مقلده ومتبوعه فان وافقه حكم به وافتى به والا رده ولم يقبله وهذه اقوال كما ترى قد بلغت من الفساد والبطلان والتناقض والقول على الله بلا علم وابطال حجته والزهد فى كتابه وسنة رسوله وتلقي الاحكام منهما ويأبى الله

(*) كذا في الاصلين ولعله ابن حامد لان ابا حامد في الطائفة الاولى وهو ابو حامد والاول ابن حامد والله اعلم اه من هامش النسخة المطبوعة بالهند

الا ان يتم نوره ويصدق قول رسوله انه لا تخلو الارض من قائم لله بحجته ولن تزال طائفة من امته على محض الحق الذي بعثه به وانه لا يزال يبعث على رأس كل مئة سنة لهذه الامة من يجدد لها دينها ويكفي في فساد هذه الاقوال ان يقال لأربابها فاذا لم يكن لأحد ان يختار بعد من ذكرتم فمن اين وقع لكم اختيار تقليدهم دون غيرهم وكيف حرمتم على الرجل ان يختار ما يؤديه اليه اجتهاده من القول الموافق لكتاب الله وسنة رسوله وأبحتم لانفسكم اختيار قول من قلدتموه واوجبتم على الامة تقليده وحرمتم تقليد من سواه ورجحتموه على تقليد من سواه فما الذي سوغ لكم هذا الاختيار الذي لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا اجماع ولا قياس ولا قول صاحب وحرمتم اختيار ما عليه الدليل من الكتاب والسنة واقوال الصحابة . ويقال لكم فاذا كان لا يجوز الاختيار بعد المئتين عندك ولا عند غيرك فمن اين يسوغ لك وانت لم تولد الا بعد المئتين بخمسين سنة ان تختار قول مالك دون من هو افضل منه من الصحابة والتابعين او من هو مثله من فقهاء الامصار او ممن جاء بعده

وموجب هذا القول ان اشهب وابن الماجشون ومطرف بن عبد الله وأصبغ بن الفرج وسحنون بن سعيد واحمد بن المعدل ومن في طبقتهم من الفقهاء كان لهم ان يختاروا الى السلاخ ذي الحجة من سنة مئتين فلما استهل هلال المحرم من سنة احدى ومئتين وغابت الشمس من تلك الليلة حرم عليهم في الوقت بلا مهلة ما كان مطلقا لهم من الاختيار ويقال للآخرين اليس من المصائب وعجائب الدنيا تجويزكم الاختيار والاجتهاد والقول في دين الله بالرأي والقياس لمن ذكرتم من ائمتكم ثم لا تجيزون الاختيار والاجتهاد لحفاظ الاسلام واعلم الامة بكتاب الله وسنة رسوله واقوال الصحابة وفتاواهم كاحمد بن حنبل والشافعي واسحق بن راهويه ومحمد بن اسماعيل البخاري وداود بن علي ونظرائهم على سعة علمهم بالسنن ووقوفهم على الصحيح منها والسقيم وتحريهم في معرفة اقوال الصحابة والتابعين ودقة نظرهم ولطف استخراجهم للدلائل . ومن قال منهم بالقياس فقياسه من اقرب القياس الى الصواب ، وابعده عن الفساد ، واقربه الى النصوص ، مع شدة ورعهم وما منحهم الله من محبة المؤمنين لهم ، وتعظيم المسلمين علمائهم وعامتهم لهم .

فان احتج كل فريق منهم بترجيح متبوعه بوجه من وجوه التراجيح في تقدم زمان اوزهد او ورع او لقاء شيوخ وأئمة لم يلقهم من بعده او كثرة اتباع لم يكونوا لغيره امكن الفريق الاخر ان يبدو المتبوعهم من الترجيح بذلك اوغيره ما هو مثل هذا او فوقه وامكن غير هؤلاء كلهم ان يقولوا لهم جميعا نفوذ قولكم هذا ـ ان لم يأنفوا من التناقض ـ يوجب عليكم ان تتركوا قول متبوعكم لقول من هو اقدم منه من الصحابة والتابعين واعلم واورع وازهد واكثر أتباعا واجل . فاين أتباع ابن عباس وابن مسعود وزيد بن ثابت ومعاذ بن جبل بل اتباع عمر وعلي من اتباع الأئمة المتأخرين في الكثرة والجلالة وهذا ابو هريرة قال البخاري : حمل العلم عنه ثمان مئة رجل مابين صاحب وتابع : وهذا زيد بن ثابت من جملة اصحاب عبد الله بن عباس . وأين في أتباع الائمة مثل عطاء وطاووس ومجاهد وعكرمة وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وجابر بن زيد ؟ واين في اتباعهم مثل السعيدين والشعبي ومسروق وعلقمة والاسود وشريح ؟ واين في اتباعهم مثل نافع وسالم والقاسم وعروة وخارجة بن زيد وسليمان بن يسار وابي بكر بن عبد الرحمن ؟ فما الذي جعل الائمة بأتباعهم اسعد من هؤلاء بأتباعهم ؟ ولكن اولئك وأتباعهم على قدر عصرهم فعظمهم وجلالتهم وكبرهم منع المتاخرين من الاقتداء بهم وقالوا بلسان قالهم وحالهم : هؤلاء كبار علينا لسنا من زبونهم : كما صرحوا وشهدوا على انفسهم فان اقدارهم تقاصر عن تلقي العلم من القرآن والسنة وقالوا لسنا اهلا لذلك لا لقصور الكتاب والسنة ولكن لعجزنا نحن وقصورنا فما كتفينا بمن هو اعلم بهما منا ! ! ! فيقال لهم : فلم تنكرون على من اقتدى بهما وحكمهما ونحاكم اليهما وعرض اقوال العلماء عليهما فما وافقهما قبله . وماخالفهما رده . فهب انكم لم تصلوا الى هذا المقصود فلم تنكرون على من وصل اليه وذاق حلاوته . وكيف تحجرتم الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمن على من يشاء من عباده

وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة بان الله صرفها عن عظماء القرى ومن رؤسائها واعطاها لمن ليس كذلك بقوله « أهم يقسمون رحمة ربك ؟ نحن قسمنا بينهم

معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا، ورحمة ربك خير مما يجمعون » وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم « مثل أمتي كالمطر لا يدرى اوله خير أم آخره » وقد اخبر الله سبحانه عن السابقين بانهم « ثلة من الاولين وقليل من الآخرين » واخبر سبحانه انه « بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين » قال « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم » ثم أخبر أن « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ، والله ذو الفضل العظيم »

وقد أطلنا الكلام في القياس والتقليد وذكرنا من مآخذهما وحجج أصحابهما وما لهم وعليهم من المنقول والمعقول مالا يجده الناظر في كتاب من كتب القوم من أولها الى آخرها ولا يظفر به في غير هذا الكتاب أبدا وذلك بحول الله وقوته ومشيته وفتحه فله الحمد والمنة وما كان فيه من صواب فمن الله هو المانّ به، وما كان فيه من خطأ فمني ومن الشيطان وليس الله ورسوله ودينه في شيء منه ، وبالله التوفيق

(تمت المناظرة)

باب السؤال والفتوى

فتحنا هذا الباب لاجابة أسئلة المشتركين خاصة ، اذ لا يسع الناس عامة ، ونشترط على السائل ان يبين لنا اسمه ولقبه وبلده وعمله (وظيفته) وله بعد ذلك ان يرمز الى اسمه بالحروف ان شاء ، واننا نذكر الاسئلة بالتدريج غالبا وربما قدمنا متأخرا لسبب كحاجة الناس الى بيان موضوعه وربما أجبنا غير مشترك لمثل هذا ، ولمن يمضي على سؤاله شهران أو ثلاثة ان يذكر به مرة واحدة فان لم نذكره كان عندنا سبب صحيح لاغفاله

بلوغ الدعوة لكفار العصر

(س ٦٢) محمود أفندي ناصف الصراف بسكة الحديد السودانية في (حلفا) : ذكرتم في الجزء السابع ان « كل من بلغته دعوة النبي (ص) على وجه صحيح فلم يؤمن به عنادا للحق فهو خالد في النار » وهذا يستلزم ان تكون الدعوة في زمن رسول الله (ص) اذ كان يدعو المشركين للاسلام ويفرض عليهم الجزية أو الحرب في حالة إباءهم كما هو وارد في القرآن ومذكور في التاريخ فما حكم من لم تبلغه الدعوة بلاغا شرعيا من القوم المتأخرين وكيف حالهم في الآخرة عند الله وهم لم يدعوا للاسلام ولم تبلغهم الدعوة على الوجه الشرعي الصحيح